الفصل الحادي عشر

قصة من الواقع: تحدي الإعاقة

أشتمل هذا الفصل على :

📖 قصة نجاح حقيقية.

11

الفصل الحادي عشر

قصة من الواقع: تحدي الإعاقة

قصة نجاح حقيقية: (*)

بميلادي في أسرة محدودة الدخل، الأم ريفية، والأب حلاق، وكانت فرحتهما بميلادي عظيمة نظراً لوفاة اثنين من إخوتي قبل ميلادي وكان من الطبيعي وسط مشاعر الحرص على الإبقاء على حياتي أن يغمراني ببعض التقاليد والشعوذة اعتقاداً منهما في أنها ستبقي على حياتي. ومن ضمن ما يذكر أنهما ألبساني خلخالاً وطرطوراً من القماش الأسود المزركش، وإمعاناً في الحرص على حياتي كان والداي ينفذان أي نصيحة تتقدم بها أي من الجارات، وكنت أشعر بشيء ثقيل معلق على صدري يحدث صوتاً غريباً وعلمت فيما بعد أنه مسبحة مصنوعة من قطع النقود المعدنية المثقوبة مما جعلني أبدوا في هذا السن كالعاملين في السيرك. ومن الطريف أن هذا الخلخال ظل متوارثاً لكافة أشقائي الخمسة بل وتعداهم إلى أطفال المعارف والأصدقاء ومنهم من يتبوأ مراكز مرموقة الآن ونظل نذكرهم بالخلخال من حين لآخر.

بعد ثلاث سنوات من ميلادي وعلى أثر الإصابة بحمى أصبت بضمور في

(*) قصة حقيقية لأحد المُعاقين، قامت بإعدادها الباحثة / أميرة أحمد حسن طه، دبلوم دراسات عليا في مجال المُعاقين، تحت إشراف المؤلف.

العضلات وبعد البحث والعرض على طوفان من الأطباء اتضح بأن الإصابة بمثل حالتي لا تأتي إلا من زواج الأقارب.

والعجيب في الأمر أن علامات المرض بالرغم من ظهورها عند المشي وفي الصعود وفي النزول لدرجات السلم إلا أنني كأي طفل يلهو مع أقرانه لم ألاحظ أو أتأثر بأي فارق في سلوكي الحركي إلى أن أتى يوم وإذ بي أمام أفراد العائلة في منزل أحدهم وإذا بعمتي تنهرني وتأمرني بالالتزام بأن أتحرك كما يجب. ولم تكن تدري أن الأمر أبعد من ذلك بكثير وأن الخطر بدأ ينهش بأنيابه في جسدي الهزيل وسامحها الله فيما قالته لي من عبارات قاسية حيث لم أكن متعمداً أن أمشي بهذه الطريقة التي ضايقتها ولكنه المرض.

ومن هنا بدأت أشباح النقص والعجز والضعف تطاردني وتقتل تطلعاتي الصغيرة. ولم يجد والداي حينئذ من أن يسرعا بي إلى عيادات الأطباء وإلى المستشفيات. وبعد الفحص الكامل سمعت كلماتهم التي كانوا يطلقونها في صراحة كاملة متجاهلين مشاعري.

وفي الحقيقة كانت كلماتهم هي الأسس الصلبة التي شبت عليها أعمدة نجاحي. إذ قالوا بأن هذه الحالة ليس لها علاج وشاءت مشيئة الله أن تستقر حالتي بالإصابة بشلل الأطفال بالساقين واعوجاج بالعمود الفقري. وبالطبع لم أعرف حقيقة مرضي إلا بعد مرور فترة الطفولة غير واعي للواقع المؤلم وبدأت فترة المواجهة الحقيقية.. أقصد فترة التعليم بكل مراحله.

وعلى مدار السنوات ظل الوضع يزداد سوءاً. فأصبحت الصورة بعد ذلك يغالبها سحابات من البؤس والانهيار وأخذ الوضع يتدهور شيئاً فشيئاً. وبناء على الحقائق الطبية التي فسرت الأمر ب أن هناك نمو طبيعي في الجسم ولكن العضلات افتقرت إلى هذا النمو فأصبح الجسد عبئاً على العضلات. ومن هنا بدأت أفقد الحركة تدريجياً،

وأمام هذا الوضع اللعين لم يجد والداي بداً من الاستسلام بعد أن أرهقت تماماً قدرتهما المالية. وبالعودة إلى الوراء قليلا كنت أريد أن أستمتع بكل براءة الطفولة وتحركاتها وألعابها، فعلى سبيل المثال كنت أحب ركوب الدراجات ولكني لم أستطع فعل أي شيء من ذلك.

نعم لقد كانت فترة التعليم قاسية بكل مراحله للغاية رغم الأوقات الطيبة التي عشتها في هذه المرحلة، فالأطفال لا يعرفون المجاملة أو ما يجب أن يقال أو يُفعل، فهذا يقلد طريقة المشي لدي ويضحك.. وذلك يحاول أن يمسك العصا التي تساعدني على الوقوف لكي يراني أسقط على الأرض من باب المزاح.. وهؤلاء يجرون ويلعبون لكي أشاركهم لعبهم وللأسف كل ذلك كان يشعرني بالحزن لما أعانيه في المدرسة ولكني كنت أدرك أن الطريق الوحيد الذي أمامي هو التعليم.

والحمد لله انقضت هذه الفترة بفضل توجيهات ورعاية أبواي وجميع أخوتي ومحاولاتهم التي لا تنقطع للتخفيف عني وإقناعي بأن تلك الأمور غير مقصودة، وحتى إن كانت مقصودة فيجب أن نسمو فوقها ولا أنظر إلى هذه المواقف إلا بالترفع لأن ذلك لا يصدر إلا من ضعاف العقول. وكثيراً ما صممت على المكوث بالمنزل وعدم الخروج من باب البيت ولكن بالمحايلة والملاطفة والهداية يحاول إخوتي وأبواي دون ملل أو تعب أن أخرج من البيت وأذهب إلى المدرسة.

ودخلت المدرسة الابتدائية والتي كان فصلي فيها بالأدوار العليا وذات مرة قال لي الناظر – وأنا في الصف الخامس – لا داعي لحصولك على الابتدائية، فآلمني هذا كثيراً لأنني شعرت أنه ينظر إلي على أنني إنسان غير قادر على الحياة أو غير قادر على التفكير لا لشيء إلا لأنني مصاب بشلل الأطفال. ولكن ما شأن إعاقتي بتحصيل العلم؟ وكان جوابي عليه بأنني حصلت على 72٪ في الابتدائية.

ثم دخلت المدرسة الإعدادية والتي كانت تبعد عن منزلي مما كان يضطرني كي أذهب إليها أن أستقل الأوتوبيس. ولحبي للمدرسة والدراسة لم أتغيب عن المدرسة إلى في حالات الضرورة القصوى. وحصلت على الإعدادية بمجموع 70٪ ورغم نصائح من حولي من زملائي بالاكتفاء بهذا القدر من الدراسة، إلا أنني صممت على الاستمرار في التعليم ودخلت المدرسة الثانوية وبالرغم من إعاقتي إلا أن أسرتي كانت بجواري دائماً. وحصلت على الثانوية العامة بمجموع 80.5٪.

والتحقت بالجامعة التي كنت حلم كل زملاء الدراسة والتي لم يتمكن من الالتحاق بها من بين اثنى عشر طالب بالثانوية العامة يقطنون منطقة سكنية سوى اثنين أنا وجار لي.

ومن أول يوم دراسي ذهبت فيه إلى الجامعة أحمل السعادة والفرحة والحب لحياة جديدة يحسدني عليها الجميع. ولا أستطيع أن أصف أو أعبر عما حملته في عودتي للبيت من حسرة وحزن وألم وضيق وكراهية لكل من يمشي على قدميه.. نعم لأنني في أول يوم أذهب فيه للجامعة سمعت من مجموعة من الطلاب بالجامعة كانوا يجلسون سويا يضحكون ويسخروا مني بشكل لم أتوقعه حيث كانوا يقهقهون قائلين "إحنا فتحناها مستشفى ولا إيه؟".

فعدت للمنزل ألعن تفوقي الذي مكنني من الالتحاق بالجامعة واللحظة التي خرجت فيها من المنزل متجهاً إليها وعزمت على ألا أذهب للجامعة مرة أخرى، وسبقتني دموعي في الحديث مع أبواي عن ما حدث صباح ذلك اليوم وباءت محاولاتهما بالفشل الزريع لإثنائي عن رأيي. فقد صممت على ألا أذهب مرة أخرى للجامعة وأن أكتفي بالتعليم الثانوي.

ومكثت بالمنزل قرابة الشهر حاول فيها الوالدان مئات المرات إقناعي بالذهاب

مرة أخرى للجامعة وبصراحة قررت أن أعود ليس عن رغبة صادقة في ذلك ولكن رأفة بحاليهما ولكي أتخلص من إلحاحهما المستمر.

وبفضل الله كانت حياتي الجامعية محببة إلى نفسي حيث تعرفت على مجموعة من الزملاء المتعاونين من الأولاد والبنات فقد كانوا يحملونني على أكتافهم لأتنقل من مدرج إلى آخر وذات مرة سقطت بين أقدامهم وتمزقت ملابسي فأخذت أطلق النكات بالرغم من إنني كنت أتمزق ألم وحسرة، حتى أساتذة الجامعة كانوا يتعاملون معي بكل مودة وأبوة قولاً وفعلاً وكانت نقطة تحول عظيم في حياتي دراسياً ورياضياً.

فعلى المستوى الرياضي بدأت ممارسة الرياضة وأنا بالفرقة الثانية على يد مدرب فاضل إنسان بكل معنى الكلمة. وبدأت التفوق النفسي على نفسي وعلى من حولي. وأصبح الجميع يتحدثون عني وعن إعاقتي وكيف أصبحت أفضل منهم علمياً ورياضياً وأتمتع بالحياة بكل ما فيها من جمال وبهجة وخرجت إلى عالم الشهرة وتفوقت دراسياً حيث كنت أنجح كل عام بتقدير مناسب، إلى جانب السفر للدول الأوروبية والمشاركة في البطولات الدولية والحصول على المراكز الأولى في رياضة ألعاب القوى (قرص – جلة – رمح)، جري بالكرسي المتحرك من 100 متر إلى 400 متر.

وأختتم حديثي إلى أنني أصبحت أفضل حالاً من كثيرين غيري سواء كانوا مرضى أو مُعاقين مثلي أو كانوا من الأصحاء حيث أصبح الجميع ينظرون إلي بعين الإعجاب أو الحسد.

وآخر كلماتي هي: الحمد لله على كل شيء.